بينهما وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا انفجرت تفرقت
وذهب ماؤها وقال الحسن فجرت يبست قوله واذا القبور
بعثرت اي قلبت يقال بعثره وبحثره بالعين والحا قال الزمخشري
وهما مركبان من البعث والبحث مضموم اليهما را يعني انهما مما انتزعتا
لان الرا مزيدة فيهما اذ ليست من حروف الزيادة وهذا كدمث ودمثر
وسبط وسبطر فصل والمعنى قلب اعلاها واسفلها وقلب
باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احيا وقيل التبعثر اخراج
ما في بطنها من الذهب والفضة ثم يخرج الموتى بعد ذلك وقوله تعالى
علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا والمعنى ما قدمت من عمل صالح
او شي او اخرت من التركات ثم ما تقدم في قوله تعالى ينبا الانسان
يومئذ بما قدم واخر والمقصود الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة
فان قيل اي وقت من القيمة يحصل هذا العلم قال ابن الخطيب اما العلم
الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة في اول
الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراة الكتب والمحاسبة
قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي المتجاوز العامة
على غرك بتلاثيا وما استفهامية في محل رفع على الابتدا وقرا ابن جبير
والاعمش ما اغرك فاحتمل ان يكون استفهاميا وان يكون تعجبية ومعنى
اغره ادخله في الغرة او جعله غارا فصل لما اخبر في الاية الاولى
عن وقوع الحشر والنشر ذكر ههنا ما يدل عقلا على امكانه او على وقوعه
وذلك من وجهين الاول ان الاله الكريم لا يجوز من كرمه ان يقطع مواد
نعمه عن المذنبين كيف يجوز في كرمه ان لا ينتقم من الظالم الثاني ان
القادر على خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال
انه تعالى خلقها لا لحكمة وذلك عبث وهو على الله محال لانه تعالى منزه عن
العبث او خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان يكون عايدة الى الله تعالى وذلك باطل
لانه منزه عن الاستكمال والانتفاع فتعين ان يكون الحكمة عايدة الى العبد
وتلك الحكمة ان تظهر في الدنيا فذلك باطل لان الدنيا دار بلا وامتحان لا دار
انتفاع وجزا فثبت ان تلك الحكمة انما تظهر في دار الجزا فثبت ان الاعتراف
بوجود الاله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على
العاقل ان يقطع بانه تعالى يبعث الاموات ويحشرهم فصل هذا
جواب لمنكري البعث وروى عطا عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت
في الوليد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في الاخنس بن شريق
وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبه الله تعالى فانزل
الله تعالى هذه الاية وقيل يتناول جميع العصاة لان الاعتبار بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ومعنى ما غرك الله ما خدعك وسول لك الباطل
حتى تركت الواجبات واتيت المحرمات والمعنى ما الذي امنك من عقابه
هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه على الكافر فالمعنى
ما الذي دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر فان قيل كونه كريما يقتضي ان
يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوي عنده طاعة
المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار وروي عن علي رضي الله
عنه انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال لم لا
تجيبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه
وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه واذا ثبت ان كرمه يقتضي
الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار فالجواب من وجوه

الاول

الاول ان المعنى لما كنت ترى حلم الله تعالى عن خلقه ظننت ان لا حساب
ولا دار الا هذه الدار فما الذي دعاك الى الاغترار وجراك على انكار الحشر
والنشر فان ربك كريم فهو من كرمه تعالى لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة
التوبة وتاخير الجزا وذلك لا يقتضي الاغترار الثاني ان كرمه تعالى
لما بلغ الى حيث لا يمنع العاصي من ان يطعم فبان انه ينتقم للمظلوم من الظالم
كان اولى فاذا كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاغترار وترك
الجزا والاغترار الثالث ان كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في
الخدمة والاستحيا من الاغترار الرابع قال بعضهم انما قال ربك
الكريم ليكون ذلك جوابا عن ذلك السوال حتى يقول غرني كرمك
فلولا كرمك لما فعلت لانك رايت فسترت وقدرت فامهلت
وهذا الجواب انما يصح اذا كان المراد بقوله تعالى يا ايها الانسان
هو الكافر فصل قال قتادة رضي الله عنه سبب غرور
ابن ادم تسويل الشيطان وقال مقاتل غره عفو الله حين لم
يعاقبه اول مرة وقال السدي غره رفق الله وقال ابن مسعود
ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيمة فيقول ما غرك يا ابن ادم
ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين قوله
الذي خلقك فسواك يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت
والقطع الى الرفع والنصب واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم
ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقق ذلك الكرم فقوله تعالى
الذي خلقك لا شك انه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم
والحياة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم وقوله تعالى فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضا قال
ذو النون اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشي منها ثم انطق
لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة وسرك بالايمان
وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا قوله
فعدلك قرا الكوفيون عدلك مخففا والباقون مثقلا فالتثقيل
بمعنى جعلك متناسب الاطراف فلم يجعل احدى يديك او رجليك
اطول ولا احدى عينيك اوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى
بلى قادرين على ان نسوي بنانه قال علما التشريح انه تعالى ركب جانبي
هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام
ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها
والخارجة منها وقال عطا عن ابن عباس رضي الله عنه جعلك قائما
معتدلا احسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال ابو علي الفارسي عدل
خلقك فاخرجك في احسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات
وواصلا في الكمال الى ما لم يصل اليه شي من اجسام هذا العالم واما
قراة التخفيف فيحتمل هذا اي عدل بعض اعضائك ببعض ويحتمل ان
يكون من العدول اي صرفك الى ما شا من الهيات والاشكال
وهذا قول الفرا قال والتشديد احسن الوجهين لانك تقول عدلتك
الى كذا اي صرفتك الى كذا ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه وفي
القراة الاولى جعل في من قوله في اي صورة للتركيب وهو حسن وفي
القراة الثانية جعل في صلة لقوله فعدلك وهو ضعيف ونقل القفال
عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد قوله في اي صورة يجوز فيه اوجه
احدها ان يتعلق بركبك وما مزيدة على هذا وشا صفة لصورة ولم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)